مصطلحات قرآنية

مصطلح القرية والمدينة

مصطلح المكر والكيد

دكتور/ محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند
أستاذ مشارك بقسم الدراسات القرآنية- كلية التربية
جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية

المقدّمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على النبيّ المصطفى والرسول المجتبى، وعلى آله وأصحابه الطيبين الشرفا، أمّا بعد: فإنّ الله قد أنزل كتابه الكريم بأفصح لسان، وأعظم بيان، كيف لا وإعجازه في لغته وبيانه، وتحدّيه في حسن سبكه وتبيانه، ممّا أعجز العقول البشرية، وحيّر الألباب الذكية، فتقاصرت أن تأتي ولو بسورة واحدة مثله، فضلاً عن كلّه. فسبحان الحكيم العليم. وإنّ من عظمة هذا القرآن وفصاحته وبلاغته؛ أنّه لا تنقضي عجائبه، ولا تُستقصى غرائبه، فهو كالبحر اللجيّ، فكم في جوفه من اللآليء والأصداف، والكنوز البحرية من سائر الأصناف، ومن ذلك: دقّة ألفاظه ومعانيه، وتنوّع أهدافه ومراميه، فلكلّ لفظ معنى، ولكلّ عبارة هدف ومرمى، وقد تختلف الألفاظ وتتقارب المعاني، وقد يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ومن هنا جرت العناية بألفاظ القرآن ومعانيه ودلالاته، وصنّفت في ذلك المصنّفات، وكثيراً ما يرد في القرآن لفظان أو أكثر، بينهما تقارب أو تقاطع، ويسمّى المترادف، حتّى إنّ بعض المفسّرين ليفسّر بعضها ببعض على وجه التقريب لا على وجه التطابق، وقد يجتهد بعضهم في التفريق بينها بذكر بعض المعاني الخفيّة والدقائق اللطيفة، وهذا من بديع العلم وجليله، لتعلّقه بتفسير القرآن وبيان أسراره وتأويله. **ومن هنا تأتي أهميّة هذا الموضوع.**

ومن المصطلحات المترادفة التي يتكرّر ذكرها في القرآن: مصطلحا (القرية) و(المدينة). وقد يردان في سياق واحد، وقصّة واحدة، للدلالة على شيء واحد، كما في قوله تعالى: {فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا

فيها جدارًا يريد أن ينقضّ فأقامه..}[الكهف:٧٧]، ثم قال في آخر القصّة نفسها: {وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا..}[الكهف:٨٢]، فالمدينة هي القرية نفسها التي وجدا فيها الجدار.

وقد ورد مثل هذا في مواضع أخرى كما في سورة يس:{واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون}[يس:١٣] إلى أن قال:{وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى..} [يس:٢٠]، والمدينة هي القرية نفسها.

وكذلك في قوله تعالى {أخرجوا آل لوط من قريتكم إنّهم أناس يتطهّرون}[النمل:٥٦] وقال في موضع آخر في القصّة نفسها:{وجاء أهل المدينة يستبشرون}[الحجر: ٦٧]. ومثل ذلك ورد في مصطلحي الكيد والمكر.. **هذه هي مشكلة البحث.**

أمّا سؤاله فهو: لمَ عبّر في الآية الأولى بلفظ (القرية)، وفي الثانية بلفظ (المدينة) مع أنّ القصّة واحدة، والقرية هي نفسها المدينة المذكورة في الآية الأخرى كما يظهر من السياق؟! ومثلهما مصطلحا (الكيد) و(المكر)، حيث يردان أحياناً في قصّة واحدة. وهو ما يستدعي السؤال عن سرّ اختلاف اللفظ في مثل هذه المواضع. وهذا **ما أهدف** إلى دراسته وبيانه في هذا البحث بإذن الله تعالى.

وقد قسّمت هذا البحث إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة. وقد خصّصت المبحث الأوّل للحديث عن مصطلحي (القرية) و(المدينة). والمبحث الثاني للحديث عن مصطلحي (المكر) و(الكيد). سائلاً المولى التوفيق والسداد، والهدى والرشاد.

المبحث الأوّل
مصطلح (القرية) و(المدينة)

إنّ من الألفاظ المشكلة في القرآن: لفظي (القرية) و(المدينة) لا سيما إذا وردا في سياق واحد، وفي قصّة واحدة، وأُريد بالقرية المدينة. وقد تحدّث بعض المفسّرين والباحثين عن هذه المسألة، وذكروا وجوهاً عدّة في حلّ هذه المشكلة، وقبل الولوج في الموضوع ودراسته لا بدّ من تعريف هذين المصطلحين حسب ما ورد في كتب اللغة وغيرها.

أولاً: تعريف القرية:

قال ابن فارس: " القاف والراء والحرف المعتلّ أصل صحيح، يدلّ على جمع واجتماع. من ذلك: القَرْية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها"[1]. وفي القاموس المحيط:"القَرْيَة:المِصْرُ الجامع"[2]. وقال المناويّ: "القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه النّاس، وللنّاس جميعاً، ويستعمل في كلٍ منهما. وفي الكفاية: القرية كلّ مكان اتصلّت به الأبنية، واتّخذ قراراً. يقع على المدن وغيرها"[3]. وقال ابن عاشور:"والقَرية ــ بفتح القاف لا غير على الأصحّ ــ:البلدة المشتملة على المساكن المبنيّة من حجارة، وهي مشتقّة من القَرْي بفتح فسكون وبالياء، وهو الجمع، يقال: قَرى الشيء يَقريه؛ إذا جمعه، وهي تطلق على البلدة الصغيرة، وعلى المدينة الكبيرة ذات الأسوار والأبواب"[4].

المطلب الثاني: تعريف المدينة:

قال الفيروزأبادي:"مَدَنَ: أقامَ، فِعْلٌ مُماتٌ. ومنه: المدينَةُ لِلْحِصْنِ يُبْنَى في أُصْطُمَّةِ أرْضٍ"[5]. فـ "كلّ أرض يُبنى بها حِصْنٌ في أُصطُمَّتِها فهو مدينتها"[6]. وقيل: هي مِنْ دان، أي أطاع[7].

---

[1]) معجم مقاييس اللغة ٧٨/٥

[2]) القاموس المحيط ص١٧٠٦.

[3]) التوقيف على مهمّات التعاريف للمناوي ص٥٨١ وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس للأنباري:٨٢/٢.

[4]) التحرير والتنوير:٣٨٣/١ باختصار يسير.

[5]) القاموس المحيط: ص١٥٩٢.

[6]) العين للفراهيدي:٥٣/٨.والأُصْطُمَّةُ والأُسْطُمَّةُ: مُعْظَمُ الشيءِ، ومُجْتَمَعُه، أو وسَطُه. (القاموس المحيط: ص١٤٥٨).

[7]) ينظر:نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي:ص٥٦٠.

وذكر السمين الحلبيّ في معنى المدينة ثلاثة أقوال، قال:"**أحدها** – وهو الصحيح – أنّ وزنها فَعيلة، فميمها أصلية، وياؤها زائدة، مشتقّة مِنْ مَدَن يمدُن مُدوناً؛ أي: أقام...**القول الثاني:** أنّ وزنها مَفْعلة، مِنْ دانه يَدينه أي: ساسه يَسُوسه، فمعنى مدينة أي: مملوكة ومَسُوسة، أي: مسوسٌ أهلُها، مِنْ دانهم مَلَكُهم؛ إذا ساسهم، وكان ينبغي أن يُجمع على مداين بصريح الياء، كمعايش في مشهور لغة العرب. **الثالث:** أنّ وزنها مفعولة،وهو مذهب أبي العبّاس. قال: (هي من دانه يدينه؛إذا ملكه وقهره، وإذا كان أصلها مديونة فأعلّت كما يُعلّ مَبِيع اسم مفعول من البيع،ثم يجري الخلاف في المحذوف:هل هو الياء الأصلية،أو الواو الزائدة؟ الأوّل قول الأخفش،والثاني قول المازني،وهو مذهب جماهير النحاة. والمدينة معروفة،وهي البقعة المسوّرة المستولي عليها مَلِك"[1].

هذا هو التعريف اللغوي لكلا المصطلحين، ويُستخلص منه أنّ مصطلح القرية هو الأصل، وهو أعمّ وأشمل من مصطلح المدينة،هذا بإجمال.

أمّا التفصيل فقد اختلفت عبارات المفسّرين في بيان العلاقة بينهما،وسأذكر ما وقفت عليه منها مع دراستها والتعليق عليها،ثمّ أقرّر ما توصّلت إليه بعد ذلك،وبالله التوفيق.

فطائفة اكتفت بالقول بجواز إطلاق لفظ القرية على المدينة،ولم تبيّن سبب اختلاف اللفظ.

وقد ذهب إلى هذا جمع من المفسّرين،منهم ابن كثير والقرطبي وغيرهما:

قال ابن كثير:"في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة،لأنّه قال أوّلاً {حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ} وقال ههنا {فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ}"[2].وقال القرطبي: "ودلّ قوله: (في المدينة) على أنّ القرية تسمّى مدينة، ومنه الحديث ((**أُمِرتُ بقرية تأكل القرى**))[3]، وفي حديث الهجرة (لمن أنت) فقال الرجل: من أهل المدينة، يعني مكة[4]"[5].

وقال ابن عادل في تفسيره: "واعلم أنه سمَّى القرية في قوله: (أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ) وسمَّى

---

[1]) الدر المصون في علم الكتاب المكنون:٧/٢٢٢، باختصار يسير.

[2]) تفسير القرآن العظيم:٣/١٢١.

[3]) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة برقم:١٧٧٢،ومسلم في كتاب الحج،باب المدينة تنفي شرارها برقم:١٣٨٢.

[4]) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب المناقب،باب علامات النبوّة في الإسلام برقم:٣٣٦٩،ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة برقم:٢٠٠٩.

[5]) الجامع لأحكام القرآن:١١/٣٨.

القرية هنا مدينة بقوله: (يَتيمَيْنِ في المدينةِ)، فدلَّ على جواز تسمية إحداهما بالأخرى"[1].وقال الشوكانيّ: "(في المدينة):هي القرية المذكورة سابقاً، وفيه جواز إطلاق اسم المدينة على القرية لغة"[2].

وهذا فيه قصور، فلم يبيّنوا لنا سبب اختلاف الإطلاق والتعبير بين اللفظين، وربّنا سبحانه ما غاير بينهما إلا لسبب ومعنى تضمّنه كلّ منهما، وإلا كان ضرباً من العبث والفضول. قال سيبويه متحدثاً عن لغة العرب: "اعلم أنّ من كلامِهم: اختلاف اللفظينِ لاختلاف المعنيينِ، واختلافَ اللفظينِ والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[3]. والذي يهمّنا من كلامه هو الأوّل (اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين). أمّا الثاني (اختلاف اللفظين والمعنى واحد) ففيه نزاع، فقد أنكره طائفة من أهل العلم واللغة، فقد نقل أبو العباس عن شيخه ابن الأعرابي أنّه قال: "كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد؛ في كلّ واحد منهما معنى ليس في صاحبه، وربّما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نُلزم العرب جهله"[4]. ويؤكّد هذا المعنى العسكريّ ــ وهو من أشهر من ألّف في الفروق ــ فيقول: "الشاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أنّ الاسم كلمة تدلّ على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرّة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللّغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأوّل؛ كان ذلك صوابا، فهذا يدلّ على أنّ كلّ اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان، في لغة واحدة، فإنّ كلّ واحد منهما يَقْتَضِي خلاف مَا يَقْتَضِيه الآخر، وَإِلَّا لَكَانَ الثَّانِي فضلا لَا يحْتَاج إِلَيْهِ. وَإِلَى هَذَا ذهب الْمحقِّقُونَ من الْعلمَاء"[5].

أمّا الزركشيّ فقد أسدى نصيحة للمفسّرين في هذا الموضوع، فقال: "قاعدة في ألفاظ يُظَنّ بها الترادف وليست منه، ولهذا وزّعت بحسب المقامات، فلا يقوم

---

[1]) اللباب في علوم الكتاب:١٢/٥٤٨.

[2]) فتح القدير:٣/٤٣٥.

[3]) الكتاب:١/٢٤.

[4]) الأضداد لابن الأنباري:ص٧.

[5]) الفروق:١/٢٢.

مرادفها فيما استُعمل فيه مقام الآخر، فعلى المفسّر مراعاة الاستعمالات، والقطع بعدم الترادف ما أمكن.."[1]. إلى آخر ما ذكر.

وإذا كان الترادف التامّ غير موجود في اللغة عند طائفة من المحقّقين، فالقول بعدم وجوده في القرآن أولى، إذ القرآن نزل بأفصح لسان وأعلى بيان، وكلّ لفظة منه أقيمت بأدقّ ميزان، وأقوم لسان، فلا تقوم لفظة مكان أخرى إلا بنقص في البيان. ولست بصدد الحديث عن موضوع الترادف، والنزاع فيه، فإنّ هذا يطول، وقد كُتبتْ فيه بحوث وأُلّفتْ مؤلّفات يمكن الرجوع إليها[2].

والخلاصة أنّ القول بجواز إطلاق لفظ القرية على المدينة دون ذكر سبب أو توجيه لهذا الإطلاق، فيه قصور. ولعلّ القائلين به لم يظهر لهم شيء، أو آثروا السلامة، والله تعالى أعلم.

وطائفة أخرى ذكرت سبباً لاختلاف اللفظ..وخلاصة ما ذكروه:

١. أنّ هذا من باب التفنّن البلاغي، حتّى لا يملّ السامع أو القارئ. وممّن ذهب إلى ذلك ابن عاشور فإنّه قال: " والمراد بالمدينة هنا نفس القرية المذكورة في قوله: {أصحاب القرية}، عُبّر عنها هنا بالمدينة تفنّناً "[3]. وهذا التعليل وإن كان معقولاً، لكنّه ضعيف لأنّه نظر إلى مجرّد اللفظ، ولم ينظر إلى المعنى، ولو سلّمنا به، فلا يمنع معه أن يكون ثمّة توجيه يتعلّق بالمعنى، وهو الأَولى والأليق بكلام الله.

٢. أنّ التعبير بالمدينة: للاعتداد بها. اختار ذلك ابن عجيبة، قال: " (في المدينة) أي: القرية المذكورة فيما سبق، ولعلّ التعبير عنها بالمدينة؛ لإظهار نوع اعتداد بها، باعتداد ما فيها من اليتيمين وأبيهما الصالح"[4]. ولعلّه أراد أنّ ذكرهما في الآية هو سبب التعبير بالمدينة، لكنّه لم يبيّن علاقة هذا الاعتداد بلفظ المدينة! وهذا قصور أيضاً.

٣. إنّ القرية معتبر فيها "الحالّ"، والمدينة معتبر فيها" المحلّ". أو ــ بعبارة أخرى ــ القرية ترمز إلى السكّان، والمدينة إلى المساكن. وهذا التعليل وإن ساغ في بعض

---

[1]) البرهان في علوم القرآن:٤/٧٨.

[2]) ينظر على سبيل المثال: الترادف في القرآن بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين المنجد، وقد توسع في ذكر الاختلاف بين طوائف أهل العلم في جميع التخصصات وأجاد.

[3]) التحرير والتنوير:١٢/٩٩.

[4]) البحر المديد:٤/٢٦٧.

المواضع؛ فإنّه لا يطّرد فيها كلّها، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: {فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم ..}[النمل:٥٦]، فالقرية المقصود بها هاهنا المحلّ، أي أخرجوهم من مساكنكم، وهذا خلاف ما ذكروه في التعليل، وكذلك قوله تعالى: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ}[النمل: ٤٨]، مع قوله سبحانه: {وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها}[الأنعام:١٢٣]، فالتسعة الرهط هم من أكابر المجرمين، وكلّهم قد مكروا، ومع ذلك تارة عبّر بالمدينة وتارة بالقرية، مع أنّ الموضوع واحد، ممّا يدلّ على أنّ ثمّة توجيه آخر لهذا التنويع في اللفظ، وهو ما سأذكره بإذن الله في ختام هذا المبحث فيما توصّلت إليه.

٤. وقال آخرون: حيث حصل اجتماع واتفاق؛ فالتعبير يكون بالقرية، وحيث حصل اختلاف؛ فالتعبير يكون بالمدينة، ونحو ذلك. وممّن أشار إلى هذا: البقاعيّ في نظمه قال: "ولما كانت القرية لا تنافي التسمية بالمدينة، وكان التعبير بالقرية أوّلاً أليق لأنّها مشتقّة من معنى الجمع؛ فكان أليق بالذمّ في ترك الضيافة، لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع، وبمحبّتهم للجمع والإمساك. وكانت المدينة بمعنى الإقامة، فكان التعبير بها أليق، للإشارة به إلى أنّ النّاس يقيمون فيها، فينهدم الجدار وهم مقيمون، فيأخذون الكنز "[١].وقال في سورة يس: "(أصحاب القرية) التي هي محلّ الحكمة، واجتماع الكلمة، وانتشار العلم، ومعدن الرحمة.."[٢]. وقال: "(المدينة) لأنّها أدلّ على الكِبْر، المستلزم لبعد الأطراف، وجمع الأخلاط"[٣]. وهذا أيضاً غير مطرّد فيها كلّها، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن المستضعفين: {الذين يقولون ربَّنا أخرجنا من هذه القريةِ الظالمِ أهلُها}[النساء:٧٥]، والقرية هنا مكّة بإجماع من المتأوّلين كما يقول القرطبي رحمه الله[٤]، وقد كان فيها عدد من المؤمنين المستضعفين الذين لم يقدروا على الهجرة، وهذا دليل على أنّ أهل مكّة لم يكونوا كلّهم متّفقين على الكفر، بل هم أخلاط من المشركين الظاهرين، والمؤمنين المستضعفين، ممّا ينقض تعليلهم بالاتفاق في لفظ القرية، "وقد استجاب الله لبعض

---

[١]) نظم الدرر:٤/٤٩٨.

[٢]) السابق:٦/٢٤٩.

[٣]) السابق:٦/٢٥٢.

[٤]) الجامع لأحكام القرآن:٥/٢٧٩.

المستضعفين فيَسَّر لهم الخروج، وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكّة، وولَّى صلّى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد، فأنصف مظلومهم من ظالمهم"[1]. وما ذكره البقاعيّ فيه تكلّف، ثمّ لو ساغ في موضع؛ لم يسغ في مواضع أخرى، وممّا يدلّ على تكلّفه: تفسيره للقرية في سورة يس بأنّها "محلّ الحكمة، واجتماع الكلمة، وانتشار العلم، ومعدن الرحمة.."!. وأيّ حكمة وأيّ علم وأيّ رحمة في قوم كذّبوا الرسل، وتطيّروا بهم، وهدّدوهم بالرجم والعذاب الأليم! بل من تأمّل آيات الكتاب العزيز وجد أنّ ذكر القرى في الغالب مقترن بالظلم والطغيان والعتوّ المنتهي بالعذاب والإهلاك: {وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً}[الكهف:٥٩]. وقال في تفسير المدينة: "لأنّها أدلّ على الكِبْر، المستلزم لبعد الأطراف، وجمع الأخلاط"! ولست أدري ما علاقة الكبر ببعد الأطراف وجمع الأخلاط!..

هذا خلاصة ما وقفت عليه من الأقوال والتوجيه بين مصطلحي القرية والمدينة، مع التعليق على كلّ قول.. وقبل ذكر الرأي الذي توصّلت إليه في ذلك، أشير أوّلاً باختصار إلى الآيات التي ورد فيها لفظ المدينة ــ وهو موضع الإشكال ــ ، ثمّ أذكر تحليلاً أوّلياً لهذه الآيات..

جاء لفظ المدينة في القرآن ويراد به معنيان: خاصّ وعامّ.المعنى الخاصّ يراد به مدينة رسول صلّى الله عليه وسلّم، (يثرب سابقاً).

وأمّا المعنى العامّ ــ وهو والذي يعنينا هنا ــ فيأتي أحياناً مستقلاً وهو الغالب، ويأتي أحياناً تعبيراً عن القرية نفسها، بعد ذكرها في نفس القصّة والسياق، وسيأتي ذكر الآيات والشاهد منها. كما جاء لفظ المدينة مجموعاً على (مدائن) في مواضع قليلة[2].

وأمّا ما جاء مقترناً بلفظ القرية في سياق واحد، ففي موضعين فقط:

– {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ..}[الكهف:٨٢]. بعد قوله: {حتّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما..}[الكهف:٧٧].

– {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى}[يس:٢٠]. بعد قوله تعالى: {واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون}[يس:١٣].

والذي ظهر لي بعد النظر والتأمّل والاستقراء أنّ السرّ في التعبير بالمدينة هو وجود أمر خفيّ، أو مخطّط سرّيّ يراد تنفيذه، وهذا ــ كما ظهر لي ــ مطّرد في

---

[1]) تفسير الجلالين:ص١١٣،بتصرّف يسير.

[2]) وهي:الأعراف:١١١،والشعراء:٣٦ و:٥٣.

جميع الآيات التي ورد فيها التعبير بلفظ المدينة، سواء ما كان منها مقترناً بذكر القرية أو مستقلاً بنفسه. وسواء كان خاصّاً بمدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، أو عامّاً. ولعلّ هذا المعنى يعود إلى الأصل اللغوي للفظ المدينة، وهو الحصن كما سبق في التعريفات. والحصن كلّ موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه[1]. وهكذا الأمور الخفيّة والأسرار المخفيّة. والله تعالى أعلم.

وفيما يلي استعراض لتلك الآيات للدلالة على وجه الشاهد منها:

الآية الأولى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ}[التوبة:١٠١]. فالآية هنا تتحدّث عن **النفاق**، وعن منافقين ماردين متآمرين **يخفى أمرهم** حتّى على صاحب الوحي صلّى الله عليه وسلّم: {لا تعلمهم نحن نعلمهم}، والنفاق ذاته أمر خفيّ، وهذا أمر واضح لا يحتاج لبسط.

الآية الثانية: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ..}[التوبة:١٢٠]، هذا عتاب منه سبحانه لمن تخلّفوا عن رسوله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك، ومنهم **منافقون** اختلقوا أعذاراً كاذبة للقعود، فهو تحذير للمؤمنين من مشابهة المنافقين **المتخفّين** والمتخلّفين، فالتخلّف عنه صلّى الله عليه وسلّم من علامات النفاق.

الآية الثالثة: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا}[الأحزاب:٦٠]. وهذا حديث أيضاً عن **النفاق**، وما شابهه من **مرض القلب**، **والشكّ**، وهي أمور خفيّة.

فإن قيل: لمَ جاء التعبير بيثرب في قول الله: {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا..}[الأحزاب:١٣]. فالجواب: لأنّ المنافقين في ذلك اليوم قد أظهروا نفاقهم، فلم يخفوه، حتى قال بعضهم: "كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر، ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز!"[2]، ولهذا حكى الله عنهم قولهم كما في الآية التي قبلها {ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً}[الأحزاب:١٢]، وهذا متّسق مع ما ذكرته.

الآية الرابعة: {قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا}[الأعراف:١٢٣]،الآية تتحدّث عن مكر، وهو أمر خفيّ، قال الطبريّ ــ رحمه الله ــ: "(لمكر مكرتموه في المدينة)، يقول: لخدعة خدعتم بها من

---

[1]) ينظر: لسان العرب:١١٩/١٣.

[2]) ينظر:الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ:١٤٧/١٤.

في مدينتنا، لتخرجوهم منها"[1]. وهو أمر توهّمه فرعون المهزوم، لقوّة ما جاء به موسى عليه السلام من آية أبطلت كيده وتدبيره.

الآية الخامسة: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[يوسف:٣٠]. ذكر أهل التفسير أنّ النسوة إنّما قلن ذلك مكيدة منهنّ للتوصّل إلى رؤية يوسف عليه السلام، وهذا أمر خفيّ، ولذا قال بعدها: {فلمّا سمعت بمكرهنّ..}[يوسف:٣١]، قال ابن كثير: "(فلمّا سمعت بمكرهنّ) قال بعضهم: بقولهن. وقال محمّد بن إسحاق: بل بلغهنّ حسن يوسف، فأحببن أن يرينه، فقلن ذلك ليتوصلنّ إلى رؤيته ومشاهدته، فعند ذلك (أرسلت إليهنّ) أي دعتهنّ إلى منزلها لتضيفهنّ، (وأَعْتَدَتْ لهنّ متّكأ).."[2]. وسيأتي مزيد بيان حول سبب التعبير هنا بالمكر في المبحث الثاني بإذن الله.

الآية السادسة: {وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ}[الحجر:٦٧]. هذه في قوم لوط ــ عليه السلام ــ وقد ورد في موضع آخر التعبير بلفظ القرية عند الحديث عنهم، كما في قوله تعالى: {فَمَا كَانَ جوابَ قومه إلا أن قالوا أخرجوا آلَ لوطٍ من قريتكم}[النمل:٥٦]. والسرّ في التعبير بلفظ المدينة في الآية الأولى ما ذكرته من وجود أمر خفيّ، وهو هاهنا وجود الملائكة الكرام في صورة شباب مرد، وقد كان لوط ــ عليه السلام ــ يجهل ذلك، معتقداً أنّهم أضياف نزلوا عليه، ولم يكن قومه أيضاً يعلمون بقدومهم لولا أنّ امرأة لوط أخبرتهم[3]، فجاؤوا فرحين مستبشرين عياذاً بالله، فجعل لوط ــ عليه السلام ــ يجادلهم، ويقول: {إنّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحونِ . واتّقوا الله ولا تخزونِ}[الحجر:٦٨، ٦٩] ثم طفق يعرض عليهم بناته قائلاً: {هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين}[الحجر:٧١]، لكنّهم أصرّوا على طغيانهم وفسادهم، فلمّا اشتدّ الأمر على لوط ــ عليه السلام ــ أخبرته الملائكة بحقيقتهم والغرض الذي قدموا من أجله، إلى آخر القصّة، وهي معروفة. والشاهد أنّ التعبير جاء بلفظ المدينة، لخفاء أمر الملائكة حتّى على مضيّفهم، ولمّا انكشف الأمر، وزال ما كان مخفياً؛ جاء التعبير بلفظ القرية الذي

---

[1]) جامع البيان:١٣/٣٣.

[2]) تفسير القرآن العظيم:٤/٢٣٥.

[3]) كانت امرأة لوط تظهر له خلاف ما تبطن، وتدلّ قومها على أضيافه، ولذا وصفها الله بالخيانة كما في سورة التحريم: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا..} [آية:١٠]، وبهذا قال بعض السلف. ينظر:جامع البيان:٢٣/٤٩٧.

يفيد العموم: {ونجّيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث}[الأنبياء:٧٤]، {إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون}[العنكبوت:٣٤].

الآية السابعة: {فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}[الكهف:١٩]. جاء التعبير هنا بلفظ المدينة لأنّ المقام هنا **مقام استخفاء** لذا قالوا: (ولا يُشعرنّ بكم أحداً)، وجاء تعليل ذلك في الآية التي بعدها: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا}[الكهف:٢٠]. وهذا بناء على أنّهم لبثوا في كهفهم يوماً أو بعض يوم، فظنّوا أنّهم لا يزالون في خطر من قومهم الذين اعتزلوهم لشركهم.

الآية الثامنة: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ}[النمل:٤٨]. وتمام الآيات: {قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنّه وأهلَه ثم لنقولنَّ لوليِّه ما شهدنا مهلك أهله وإنَّا لصادقون.ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون}[النمل:٤٩،٤٨]. الشاهد قوله: (لنبيتنّه وأهله..)، فهذه مؤامرة خفيّة لاغتيال نبيّ الله صالح ــ عليه السلام ــ وإظهار البراءة بكلّ وقاحة. قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنّهم عقروا الناقة، وهمّوا بقتل صالح أيضاً؛ بأن يبيّتوه في أهله ليلاً فيقتلوه غيلة، ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه: إنّهم ما علموا بشيء من أمره، وإنّهم لصادقون فيما أخبروهم به، من أنّهم لم يشاهدوا ذلك"[١]. إنّها مؤامرة دنيئة تقوم على الطغيان والمكر والكذب والخديعة. ولذا جاء التعبير بلفظ المدينة لما قرّرت سابقاً من وجود أمر خفيّ، ولمّا ذكر الله هؤلاء الأكابر في موضع آخر دون وجود أمر خفيّ عبّر بلفظ القرية، فقال: {وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون}[الأنعام:١٢٣]. أمّا لفظ المكر فسيجيء الحديث عنه في المبحث الثاني بإذن الله تعالى، وعلاقته بالأكابر.

الآية التاسعة: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا}[القصص:١٥]. الشاهد قوله: (على حين غفلة من أهلها) أي **مستخفياً**، قال ابن إسحاق: "كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يستمعون منه، ويقتدون به، فلمّا عرف ما هو عليه من الحقّ؛ رأى فراق فرعون وقومه، فخالفهم في دينه، حتّى ذُكر ذلك منه، وخافوه وخافهم، فكان لا يدخل

[١]) تفسير القرآن العظيم:١٩٨/٦.

قريةً إلا خائفاً **مستخفياً**"[1]. ولذا جاء التعبير بلفظ المدينة على ما قرّرته. ومثل هذه الآية:

الآية العاشرة: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}[القصص:١٨]. فيلاحظ عود التعبير بلفظ المدينة لأنّ موسى عليه السلام لا يزال خائفاً **مستخفياً**.

الآية الحادية عشرة: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ}[القصص:٢٠]. الشاهد قوله: (إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فثمّة **مؤامرة خفيّة** لاغتيال موسى عليه السلام، ولذا جاء التعبير بلفظ المدينة على ما قرّرته.

الآية الثانية عشرة: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}[الأعراف:١١١]. وردت هذه الآية في ثلاثة مواضع في القرآن بألفاظ متقاربة، والمعنى واحد، هذه إحداها[2]، والشاهد فيها اعتقاد فرعون بوجود **مؤامرة خفيّة** قام بها موسى ــ عليه السلام ــ والسحرة الذين آمنوا به، فجاء التعبير بلفظ المدينة على سبيل الجمع، لكثرة السحرة المؤمنين، وخطورة المؤامرة المتوهّمة! على عرش فرعون، فهو استنفار عامّ على مستوى البلاد كافّة.

وكذلك ما ورد بلفظ الجمع، وهي ثلاث آيات فقط، ثنتان منها مكرّرة، وهو قوله تعالى:{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}[الأعراف:١١١][3]، فالقائلون هم الملأ من قوم فرعون الذين حوله، وقد أسرّوا بذلك إليه، فاستجاب لهم على الفور:{فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}[الشعراء:٥٣]، وهذه هي الآية الثانية التي ورد فيها لفظ المدينة بالجمع، وقد جاء مطابقاً للفظ في الآية الأولى، ومعنى (أرجه) أي: احبسه[4].

وبهذا يتبيّن أنّ التعبير بلفظ المدينة إنّما يكون في حال وجود أمر خفيّ، أو مؤامرة خفيّة حقيقيّة أو متوهّمة. وهذا مطرّد في جميع الآيات التي ورد فيها لفظ المدينة.. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

[1]) ينظر: تفسير البغوي:١٩٦/٦.

[2]) وردت في سورة الشعراء في موضعين:آية ٣٦، و٥٣.

[3]) وردت هذه الآية مكررة في سورة الشعراء بلفظ مقارب، وهي الآية رقم:٣٦.

[4]) ينظر:جامع البيان:٢٢/١٣.

المبحث الثاني

مصطلح (المكر) و(الكيد)

من المصطلحات التي تتكرر كثيراً في القرآن الكريم: مصطلح (المكر) و(الكيد)[1]، وهما يحملان معنى متقارباً، فما السرّ في التعبير بكل منهما في موضعه دون الآخر؟

خلاصة ما ذُكر في ذلك ما يلي:

قيل: إنّ الكيد أقوى من المكر، لأنّ الكيد يتعدّى بنفسه، والمكر يتعدّى بحرف. والذي يتعدّى بنفسه أقوى[2]. وهذا حقّ، ولو قيل إنّ الكيد أخفى، لكان أولى.

وقيل: الكيد إيقاع المكروه بالغير قهراً، سواءً علم أو لم يعلم. والمكر يكون بغير علم الممكور به[3]. ولكن يشكل على هذا قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سبأ:٣٣]، بعد قولهم قبلها {لولا أنتم لكنّ مؤمنين}[سبأ:٣١]، وفي هذا دليل على أنّهم كانوا على علم بمكرهم، وكذلك قول الذين استكبروا للذين استُضعفوا: {أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين }[سبأ:٣٢]، فوصفوهم بالإجرام لعلمهم بما يدبّر لهم، لذا لم يعذرهم الله، وجعلهم سواءً. وقال الزبيدي: "الكيد: المضرّة. والمكر: إخفاء الكيد وإيصال المضرّة"[4]. وهو في معنى ما قبله. وقال الجرجاني رحمه الله: "الكَيْد: إرَادَةُ مضرَّة الغير خُفْيَة"[5]. وعرّف المكر بـــأنّه: "إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر"[6]. ولا يُلَاحَظ فرق كبير بين التعريفين! وهو يؤكّد ما ذكرته من أنّ الكيد أخفى من المكر.

---

[1]) بعض الباحثين يضيف إليهما لفظ (الخداع) ولم أفعل لأمرين:أحدهما أنّ ورود هذا اللفظ في القرآن قليل حيث لم يرد في القرآن إلا في أربعة مواضع فقط. والثاني:أنّه لم يرد إلا في المنافقين الذين يظهـــرون خـــلاف مـــا يبطنون.وعلى هذا فليس داخلاً في نطاق بحثنا.

[2]) ينظر:الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري:ص٢٥٩.

[3]) ينظر:المصدر السابق.

[4]) تاج العروس:١٢٢/٩.

[5]) التعريفات:ص٧٢٢.

[6]) السابق:ص٢٩٣.

وقيل: الكيد: كل تَدْبِيرٍ لِفعْلٍ خَفِيّ أو ظَاهر يريدُ منهُ الكائد دَفع المكيدِ أنْ يرتكبَ عملاً سيئاً أو جرماً وذنباً بإرادته بدونِ جَبرٍ أو إرغام. والمكر: إرَادَةُ وتَدْبِيرُ فِعْلٍ خَفِيّ بِحَقِّ مَنْ لَمْ يَعْلَمُ بِمَا يُرَادُ بِهِ ولَمْ يَحْتَسِب أنْ يَأتِيهِ هَذَا الفعْلُ مِنْ حَيْثُ أتَىَ مِنْه بِصُورَتِه تلك. وهو: إرَادَةُ المَاكِرِ فِعْل السُّوءِ بالممكور به في غَفْلَة منه عمّا يُرَادُ به وعدم حَذَرِهِ مِنْ شرٍّ يَأتيهِ مِنْ جِهَةِ الماكر[1]. وهذا تعريف طويل مملّ، وهو لا يخرج عمّا قبله. وسبق الجواب عنه.

وقيل: الكيد: التدبير بالفعل، والمكر: التدبير بالكلام. وكلاهما يحتمل الخير والشرّ. وهذا فيه نظر، وتأباه النصوص كما سيأتي، كيف وقد أخبر الله تعالى أنّ مكرهم تكاد تزول منه الجبال الرواسي!، وقال تعالى: {والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد..}[فاطر:١٠]، قال بعض السلف: هم الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ. وقيل: المشركون. ورجّح ابن كثير العموم[2]، فيشمل الأقوال والأفعال.

وقيل: الكيد يكون في أمر واحد، أو حادثة واحدة، أو هدف واحد؛ فإذا تعدّد الكيد واجتمع في أكثر من أمر أو حادثة أو هدف، فهو (المكر)؛ ولذلك هناك تشابه كبير بين الكيد والمكر. قالوا: وقد وصف فعل إخوة يوسف في القرآن الكريم مرّة بالكيد، ومرة بالمكر. أما ما فعلوه ليوسف من إلقائه في الجبّ، فهو كيد؛ لأنّه فعل خفيّ في أمر واحد، ولذلك قال يعقوب: {يا بنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا..}[يوسف:٥]، وقد كادوا ليوسف كيدا بإلقائه في الجبّ، هذا هو الكيد. أمّا قول الله: {وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون}[يوسف:١٠٢]، فإنّ اجتماعهم كان على أكثر من كيد واحد؛ كيد لإلقاء يوسف في الجبّ، وكيد لإخفاء أمرهم عن أبيهم، وكيد آخر لإقناع أبيهم بأنّ يوسف قد أكله الذئب. ولذلك وصف اجتماع أمرهم هنا بالمكر.. هذا ما ذكروه، وفيه نظر، بل هو متناقض، فإنّهم فسّروا المكر بالكيد، وجعلوه متعدّدا، وقد قرّروا أوّلاً أنّ الكيد مرّة لا يتعدّد!. وسيأتي بإذن الله تعليل اختلاف اللفظ في الموضعين في استعراض آيات الكيد والمكر.

والذي ظهر لي بعد النظر والتتبّع والاستقراء: أنّ المكر لا يكون إلا من قويّ متمكنّ مقتدر، بقصد الاستعلاء، أو الرياسة، أو حفظ الجاه، ونحو ذلك. وأمّا الكيد فلا

[1]) ينظر بحث بعنوان: (المكر والكيد والخداع.. والفرق بينها في التَّعبير القرآنيّ لعدنان الغامدي.

[2]) ينظر :تفسير ابن كثير:٥٣٨/٦.

يكون إلا من ضعيف أو عاجز، للتوصّل إلى مأرَب من المآرب. هذا إذا صدرا من المخلوق، أمّا من الخالق ــ عزّ وجلّ ــ فيكون على سبيل المقابلة والمشاكلة والجزاء، وهي صفة كمال. قال ابن القيم: "وهو سبحانه ينسب إلى نفسه أحسن هذه المعاني، وما هو منها حكمة وصواب وجزاء للمسيء، وذلك غاية العدل والحقّ، كقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً *وَأَكِيدُ كَيْداً}[الطارق:١٥، ١٦]، وقوله: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}[آل عمران:٥٤]، وقوله: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}[البقرة:١٥]، وقوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء:١٤٢]، وقوله: {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}[الأعراف:١٨٣]، فهذا منه ــ سبحانه ــ في أعلى مراتب الحُسْن، وإن كان من العبد قبيحًا سيئًا، لأنّه ظالم فيه، ومُوقِعُهُ بمن لا يستحقّه. والربّ ــ تعالى ــ عادل فيه، موقعه بأهله ومن يستحقّه"[1]. وقال شيخنا ابن عثيمين: " فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أنّ ظاهره أنّه مذموم؟! قيل: إنّ المكر في محلّه محمود، يدلّ على قوّة الماكر، وأنّه غالب على خصمه، ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن نقول: إن الله ماكر، وإنما نذكر هذه الصفة في مقام تكون فيه مدحاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مكراً وَمَكَرنَا مكراً وهُم لَا يَشعُرُونَ﴾[الأنفال:٥٠]. ومثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾[الأعراف:٩٩]. ولا تُنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنّها في المقام الذي تكون فيه مدحاً يوصف بها، وفي المقام الذي لا تكون فيه مدحاً لا يوصف بها، وكذلك لا يسمّى الله بها، فلا يقال: إنّ من أسماء الله الماكر"[2].

وفيما يلي استعراض مفصّل لآيات الكيد والمكر، ودلالتها على ما قرّرته:

أوّلاً: آيات الكيد:

الآية الأولى: {وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً}[آل عمران:١٢٠]. هذه الآية جاءت في سياق التحذير من اتّخاذ بطانة من غير المؤمنين، من المنافقين وغيرهم: {لا تتخذوا بطانة من دونكم ..}[آل عمران:١١٨]، قال ابن كثير: "أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل: هم خاصّة أهله الذين يطّلعون على داخل أمره"[3]. وقال

---

[1]) إغاثة اللهفان:٢/١١٤.

[2]) القول المفيد شرح كتاب التوحيد:٢/٢٤٨.

[3]) تفسير القرآن العظيم:٢/١٠٦.

القرطبيّ: "نهى الله عزّ وجلّ المؤمنين بهذه الآية أن يتّخذوا من الكفّار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم"[1]. وقد بيّن الله عزّ وجلّ حقيقة هذه البطانة، وحقدهم على المؤمنين، مع إخفائهم ذلك: {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر}[آل عمران:١١٨]، وهذا دليل على **ضعفهم**، ولهذا جاء التعبير بالكيد.

الآية الثانية: {إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً}[النساء:٧٦]، الشاهد في هذه الآية واضح، وهو وصف كيد الشيطان بالضعف، لضعف الشيطان نفسه، ولذا ورد في الحديث الشريف: "اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة"[2]. وإذا كان كيد الشيطان ضعيف مع ما مُكّن له؛ فكيد أتباعه مثله أو أضعف مهما عظم.

الآية الثالثة: {وأملي لهم إنّ كيدي متين}[الأعراف:١٨٣][3]. وهذا كما سبق على سبيل المقابلة والجزاء. ومعنى (أملي لهم): "أمهلهم، وأطيل مدّة أعمارهم"[4]. استدراجاً من الله ــ تعالى ــ لهم. ولمّا كان الإمهال والتأخير قد يغترّ به المُمْهَل وقد يراه عجزاً، جاء التعبير بلفظ الكيد. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة: {قل ادعوا شركاءكم ثمّ كيدونِ فلا تُنظِرونِ}[الأعراف:١٩٥]. لمّا ذكر الله عزّ وجلّ ــ ضعف آلهة المشركين، وعجزها عن إجابتهم، وأنّها مجرّد حجارة صمّاء؛ أمر نبيّه أن يتحدّاهم مستعينين بتلك الآلهة العاجزة، ولذا جاء التعبير بلفظ الكيد **للدلالة على عجزهم وضعفهم** هم وشركاؤهم المزعومون.

الآية الخامسة: {ذلكم وأنّ الله موهن كيد الكافرين}[الأنفال:١٨]. هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن غزوة بدر الكبرى، وما حلّ بالمشركين من الهزيمة النكراء، وقد ذكر الله في هذه الآيات نزول الملائكة تقاتل مع المؤمنين: {إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان}[الأنفال:١٢]. وذكر أيضاً معجزة أيّد بها نبيّه ــ صلّى الله عليه

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن:١٧٨/٤.

[2]) أخرجه أحمد برقم:٢٠٩٧،وأبو داود برقم:٥١١٤. وصحّحه الألبانيّ في صحيح وضعيف سنن أبي داود:٢/١.

[3]) وردت هذه الآية في موضع آخر [القلم:٤٥].

[4]) تفسير الخازن:٣٢٠/٢.

وسلّم ــ: {فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى}[الأنفال:١٧]، فناسب بعد هذا، التعبير بلفظ الكيد المشعر بالضعف أمام هذه القوّة الربّانية الهائلة.

الآية السادسة: {من دونه فكيدوني جميعاً ثمّ لا تُنظرون}[هود:٥٥]. هذه الآية جاءت في سياق قصّة هود ــ عليه السلام ــ مع قومه، فإنّه لما دعاهم إلى الله أجابوه بقولهم: {.. يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ..}[هود:٥٣،٥٤]، "يقولون: ما نظنّ إلا أنّ بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك، بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها"[١]، فأجابهم هود ــ عليه السلام ــ {قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ.إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[هود:٥٤-٥٦]. وشتّان بين إله هود، وآلهة قومه التي لا تملك ضراً ولا نفعاً، فأي حجّة أضعف وأوهى من حجّتهم، ولذا جاء التعبير بلفظ الكيد.

الآية السابعة: {قال يا بنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً}[يوسف:٥]، هذا التوجيه من يعقوب ــ عليه السلام ــ جاء بعد رؤية يوسف ــ عليه السلام ــ ما رأى، وقد علم بفراسته وظاهر هذه الرؤيا أنّ ابنه سيكون له شأن، ولذا حذّره من أنّ يقصّ رؤياه على إخوته، وعلّل ذلك بقوله: {فيكيدوا لك كيداً}، لأنّ إفشاء الرؤيا الصالحة قد يكون سبباً في منع وقوعها، لكيد الحسّاد، وقد ورد ذلك في توجيه نبويّ شريف بأن لا يخبر بها إلا من يحبّ ممّن يرجو له الخير، ففي الحديث: **((الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يحبّ، فلا يحدّث به إلا من يحبّ..))** الحديث[٢]. ومع أنّ يوسف عليه السلام عمل بتوجيه والده، إلا أنّه لم يسلم من مكر إخوته به. لكن يرد هنا سؤال، طرحه الزمخشريّ وأجاب عنه، فقال: "فإن قلت: هلا قيل: (فيكيدوك)، كما قيل: فكيدوني؟ قلت: ضمّن معنى فعل يتعدّى باللام، ليفيد معنى فعل الكيد، مع إفادة معنى الفعل المضمّن، فيكون آكد وأبلغ في التخويف، وذلك

---

[١]) تفسير القرآن العظيم:٤/٣٢٩.

[٢]) الحديث بتمامه أخرجه البخاريّ في كتاب التعبير،باب إذا رأى ما يكره:ص ١٤٧٩، برقم:٧٠٤٤، ومسلم في كتاب الرؤيا:ص٥٨٦،برقم:٢٢٦.

نحو: فيحتالوا لك.."[1]. أمّا الرازي المفسّر فأجاب عن ذلك بقوله: "قلنا: هذه اللام تأكيد للصلة، كقوله: {للرؤيا تعبرون}[يوسف:٤٣]، وكقولك: نصحتك ونصحت لك، وشكرتك وشكرت لك. وقيل هي من صلة الكيد، على معنى: فيكيدوا كيدا لك"[2]. وكذا اختار البقاعيّ أنّ اللام للاختصاص، أي: فيوقعوا لك كيداً يخصك[3]. وهذه التخريجات مشكلة، فقياس (يكيدوا لك) بـــ (يحتالوا لك) لا يستقيم هنا، بل هو على الضدّ منه. ولفظ الاحتيال لا يكون إلا معدّى بحرف جرّ. نعم قد يستقيم في قوله تعالى: {كذلك كدنا ليوسف}[يوسف:٧٦]، وسيأتي الكلم عنه قريباً بإذن الله.

وكذا جعلها صلة قياساً على مثل شكرتك وشكرت لك، فإنّ هذا أيضاً لا يستقيم، لأنّ المعنى واحد، بخلاف يكيدوك ويكيدوا لك، فالمعنى يختلف، بل هو أقرب إلى التضادّ، ولعلّ يعقوب ــ عليه السلام ــ أراد أنّ كيدهم إن حصل فإنّه سيكون في صالحك، على الرغم من مرارته وقسوته، ــ وهذا ما حصل ــ فيكون موافقاً لقوله تعالى في نفس السورة {كذلك كدنا ليوسف} أي لصالحه، وليس عليه، والله تعالى أعلم. وثمّة وجه آخر لا يتعارض مع ما ذُكر، وهو ما قدّمناه من أنّ الكيد أقوى من المكر، وهنا لم يتعدَّ بنفسه، ممّا يدلّ على ضعف أثره لو صدر.

الآية الثامنة: {فلمّا رأى قميصَه قُدَّ من دُبُرٍ قال إنّه من كيدِكنّ إنّ كيدَكنّ عظيم}[يوسف:٢٨]، هذا من كلام العزيز بعد أن دلّت القرينة الواضحة على براءة يوسف ــ عليه السلام ــ، وجاء التعبير هنا بالكيد لأنّه صادر عن ضعف: ضعف المرأة، وضعف تحمّل لهيب العشق والشهوة، ولذا وُصف بالعظيم، لأنّ فتنة النساء من أعظم الفتن التي تهوي بها قلوب كثير من الرجال، ولذا جاء في الحديث الشريف: **((ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال؛ من النساء))**[4]. فكيف إذا اجتمع مع ذلك المنصب

---

[1]) الكشّاف:٢/٤١٩.

[2]) التفسير الكبير:١/٢٤٩٢.

[3]) ينظر:نظم الدرر:٤/١١.

[4]) أخرجه البخاري في كتاب النكاح،باب ما يتقى من شؤم المرأة:ص١١٠٦،برقم:٥٠٩٦،ومسلم في كتاب الرقاق،باب أكثر أهل الجنة الفقراء:ص٦٩٣،برقم:٢٧٤١.

والجمال! ولذا جعل الله من السبعة الذين يظلّهم في ظلّه، يوم لا ظلّ إلا ظلّه: **((ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنّي أخاف الله))**[1].

الآية التاسعة: {قال ربّ السجنُ أحبُّ إليَّ ممّا يدعونني إليه وإلا تصرف عنّي كيدهنّ أصْبُ إليهنّ وأكن من الجاهلين}[يوسف:٣٣]، هذا من دعاء يوسف ــ عليه السلام ــ بعد أن فُتن به النسوة، واجتمعن على الإيقاع به، فاختار السجن لينجو من كيدهنّ. وجاء التعبير بالكيد للعلّة السابقة.

الآية العاشرة: {كذلك كدنا ليوسف}[يوسف:٧٦]، أي دللناه على مكيدة يكيد بها إخوته لاستبقاء أخيه، وهو هاهنا في موقف ضعف، إذ لا حجّة له في استبقاء أخيه عنده إلا بمثل هذه المكيدة اللطيفة، وإلا كان ظالماً معتدياً فيما يظهر للناس. وهذه المكيدة هي اتّهام أخيه بالسرقة. ولمّا كان حكم السارق في شريعة الملك حكماً وضعياً ما أنزل الله به من سلطان، وهو الجلد والتغريم ضعفين[2]؛ لجأ يوسف ــ عليه السلام ــ بوحي من ربّه، إلى مكيدة أخرى، وهي إحالة الحكم على أخيه السارق إلى الشريعة التي يدين بها إخوته، وهي شريعة نبيّ الله يعقوب ــ عليه السلام ــ، وهو بهذا يكون قد ضرب عصفورين بحجر واحد ــ كما يقال ــ بل ثلاثة: حكم بشريعة ربّانية لا وضعيّة. ودفع عن أخيه حكماً وضعياً مهيناً ومؤلماً. واستبقى أخاه عنده عاماً كاملاً. فما أعظم لطف الله وتدبيره، وكيده لعباده المؤمنين. وهذا الكيد ليوسف مقابل كيدهم به من قبل.

الآية الحادية عشرة: {فتولّى فرعون فجمع كيده ثمّ أتى}[طه:٦٠]، هذا من كلام الله ــ عزّ وجلّ ــ وقد جاء التعبير بالكيد تنبيهاً على ضعفه في مقابل المعجزة الربّانية التي أبهرت الجميع، وشتّان بين تدبير البشر، وتدبير ربّ البشر سبحانه. ومثله ما جاء بعده في نفس السياق وهي:

الآية الثانية عشرة: {وألقِ ما في يمينك تلقفْ ما صنعوا إنّما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى}[طه:٦٩]، فكيد السحرة ــ مهما كان عددهم ــ ضعيف، في مقابل الإيمان القويّ.

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة:ص١٣٢،برقم:٦٦٠، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة:ص٢٤٤،برقم:١٠٣١.

[2] ينظر:الجامع لأحكام القرآن:٢٣٨/٩.

الآية الثالثة عشرة: {فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى}[طه:٦٤]، هذا من كلام السحرة بعضهم لبعض، وكانوا قد تنازعوا من قبل ــ كما أخبر الله ــ في قول موسى لهم: {ويلكم لا تفتروا على كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى}[طه:٦١] فكان هذا القول بمثابة حرب نفسية حملتهم على الهلع والتنازع، حتى قال بعضهم لبعض مشككاً:"ما هذا بقول ساحر"[١]، ومن هنا بدأ الرعب يدبّ في قلوبهم، وكأنّهم استَضعفوا أنفسهم، فقالوا (فأجمعوا كيدكم)، فكانت هذه بداية الهزيمة، ولذا سرعان ما ألقوا بأنفسهم ساجدين معلنين إيمانهم.

الآية الرابعة عشرة: {وتالله لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين}[الأنبياء:٥٧]، هذا من قول إبراهيم ــ عليه السلام ــ وكان فتى صغيراً كما أخبر الله تعالى أنّه قد آتاه رشده من قبل، "أي: من صغره ألهمه الحقّ والحجّة على قومه"[٢]. وفي هذا إشارة إلى ضعف إبراهيم آنذاك، في مواجهة كبار قومه، وهو لا يملك سوى الاحتيال عليهم لتنبيههم على ضلالهم وشركهم. لذا لمّا فعل بأصنامهم ما فعل، وعرفوا مقصده؛ ركبوا رؤوسهم، وأصرّوا على شركهم، وقرّروا إحراقه بالنار، فقال الله ــ عزّ وجلّ ــ في:

الآية الخامسة عشرة: {وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين}[الأنبياء:٧٠][٣]، فماذا يغني كيدهم ــ بعد تهافت حجّتهم التي تدلّ على ضعفهم، وانكشاف زيف آلهتهم التي يعظّمونها ــ أمام قدرة الله تعالى وعظمته وتدبيره؟.

الآية السادسة عشرة: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لّن يَنصُرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ}[الحجّ:١٥]، قال السعديّ: "ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيّها المعادي للرسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظنّ بجهله أنّ سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنّك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإنّ ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول –إن كان ممكناً–: ائت الأمر مع بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علّقه في السماء، ثمّ اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها

---

[١]) ينظر:جامع البيان للطبري:٣٢٧/١٨.

[٢]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٣٤٧/٥.

[٣]) ومثلها في سورة الصافات:{فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين}الآية:٩٨.

النصر، فسدّها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك! فهذا هو الرأي والمكيدة، وأما ما سوى هذه الحال فلا يخطر ببالك أنّك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره، ولو كره الكافرون"[1]. وحالة الضعف هنا في غاية الوضوح.

الآية السابعة عشرة: {وما كيدُ الكافرين إلا في ضلال}[غافر:٢٥]، وهي في سياق الحديث عن موسى ــ عليه السلام ــ ورسالته إلى فرعون وهامان وقارون، وهم أئمّة الكفر في زمنه، وقد سبق الحديث عن إمام الطغاة فرعون، وضعفه أمام معجزات الله تعالى على يد نبيّه موسى ــ عليه السلام ــ، وهكذا سائر الكفرة ممّن هم دونه، وقد ورد في السورة نفسها تخصيص فرعون دون سائر الكفرة: {وما كيد فرعون إلا في تباب}[غافر:٣٧]. أي خسار. وعبّر هنا بالتباب وفي التي قبلها بالضلال؛ لأنّ الضلال يكون عند غلبة الجهل، وهذا هو حال عموم الكفّار، أمّا في حال فرعون فلم يكن تكذيبه عن جهل، وإنّما أراد التلبيس على قومه، ولذا ناسب التعبير بالتباب. والله تعالى أعلم. ومثل هذه الآية:

الآية الثامنة عشرة: {أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المَكِيدون}[الطور:٤٢]، فقد جاءت في سياق الحديث عن ضعف الإنسان، وبيان حقيقته وعجزه، في قالب تحدٍ وتعجيز وتحقير: {أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون.أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون } الآيات[الطور:٣٣- ٤١]. ولهذا قال في آخر السورة: {يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم يُنصرون}[الطور:٤٦].

الآية التاسعة عشرة: {هذا يوم الفصل جمعناكم والأوّلين.فإن كان لكم كيد فكيدونِ} [المرسلات:٣٨، ٣٩]، هذا التحدّي يقال لهم يوم القيامة، ولا يخفى ضعف الإنسان في ذلك اليوم، وعجزه عن التدبير.

الآية العشرون: {إنّهم يكيدون كيداً.وأكيد كيداً.فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً} [الطارق:١٥، ١٧]، وهذه أيضاً جاءت في سياق الحديث عن ضعف الإنسان، والتذكير بأصل خِلْقته: {فلينظرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِق.خُلِقَ من ماءٍ دافق.يخرج من بين الصلب

[1]) تيسير الكريم الرحمن:ص٥٣٥.

والترائب}[الطارق:٥- ٧]. فمن كان هذا أصله، وهذه خلقته، فما أضعف تدبيره مهما بلغ من الخفاء.

الآية الأخيرة: {ألم يجعل كيدهم في تضليل}[الفيل:٢]، هذه الآية من سورة الفيل، في قصّة أبرهة الحبشي ومن معه، وهي قصّة معلومة، وقد جاء التعبير بلفظ الكيد هنا، لأنّ موقفهم كان في غاية الضعف، فهم إنّما جاؤوا ليحاربوا الله عزّ وجلّ، ويهدموا بيته المعظّم، فمن يجرؤ على ذلك إلا مخذول؟!، ولهذا لمّا همّ أبرهة بهدم الكعبة، جاء جدّ النبيّ عبد المطلب ليطالب بإبل له أُخِذت منه، فتعجّب أبرهة من طلبه، وقد كان يظنّ أنّه جاء ليفاوضه من أجل إبقاء الكعبة المشرّفة، قال ابن هشام: " وكان عبد المطّلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلمّا رآه أبرهة أجلّه وأعظمه، وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثمّ قال لترجمانه: قل له: حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان؛ فقال: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فلمّا قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثمّ قد زهدت فيك حين كلّمتني، أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلّمني فيه! قال له عبد المطّلب: إنّي أنا ربّ الإبل، وإنّ للبيت ربّاً سيمنعه؛ قال: ما كان ليمتنع مني؛ قال: أنت وذاك"[١]. "إنّ للبيت ربّاً سيمنعه" الله أكبر، إنّها كلمة عظيمة تنمّ عن ثقة كبيرة بحماية الله لبيته. وما إن همّ أبرهة ومن معه بتنفيذ وعيدهم، حتّى جاءهم عذاب الله ليحيلهم إلى ما يشبه العصف مأكول.

ثانياً: آيات المكر:

الآية الأولى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين}[آل عمران:٥٤]، هذه في عيسى ــ عليه السلام ــ وقومه، فإنّهم قد مكروا به، وعزموا على قتله متقوّين بملك ذلك الزمان، فأنجاه الله، قال ابن كثير: " ثمّ قال تعالى مخبراً عن بني إسرائيل فيما همّوا به من الفتك بعيسى، عليه السلام، وإرادته بالسوء والصلب، حين تمالئوا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان ــ وكان كافراً ــ فأنهوا إليه أنّ هاهنا رجلاً يضلّ الناس، ويصدّهم عن طاعة الملك، ويفنّد الرعايا، ويفرّق بين الأب وابنه.. إلى غير ذلك ممّا تقلّدوه في رقابهم، ورموه به من الكذب، وأنّه ولد زانية، حتى استثاروا غضب الملك،

[١]) السيرة النبوية:١/١٦٩.

فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكّل به، فلمّا أحاطوا بمنزله وظنّوا أنّهم قد ظفروا به، نجّاه الله من بينهم، ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل ممّن كان عنده في المنزل، فلمّا دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، عليه السلام، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم.."[1]. إلى آخر ما ذكر. وواضح من سياق القصّة أنهّم كانوا في موقف قوة وتمكّن.

الآية الثانية: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}[الأنعام:١٢٣]، والأكابر هم العظماء والسادة[2]. قال مجاهد ــ رحمه الله ــ: "كانوا يُجلِسون على كلّ عقبةٍ أربعةً ينفرّون الناس عن اتّباع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ كما فعل مَن قبلهم مِن الأمم السالفة بأنبيائهم"[3]. وهذا أيضاً دليل على أنّهم في موقف قوة وتمكّن.

الآية الثالثة: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}[الأعراف:٩٩]، هذه الآية الكريمة جاءت بعد ذكر هلاك الأمم السابقة المكذّبة، وتحذير من بعدهم، ولا تخفى دلالة ذلك على قوّة الله وبأسه. وهو ــ كما قرّرنا من قبل ــ في مقابل مكرهم وكفرهم بآيات الله، كما أخبر الله في مواضع أخرى منها قوله تعالى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ}[يونس:٢١]. وقوله: (قل الله أسرع مكراً) أي: "أشدّ استدراجاً وإمهالاً حتى يظنّ الظانّ من المجرمين أنّه ليس بمعذّب، وإنّما هو في مهلة، ثمّ يؤخذ على غرّة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصونه عليه، ثمّ يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الحقير والجليل، والنقير والقطمير"[4].

الآية الرابعة: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[الأنفال:٣٠]، هذه الآية نزلت في مشركي مكّة لما اجتمعوا في دار الندوة للتآمر على نبيّنا عليه الصلاة والسلام[5]، وقد كان مستضعفاً،

---

[1]) تفسير القرآن العظيم:٤٦/٢.

[2]) ينظر:جامع البيان:٩٣/١٢.

[3]) ينظر:الجامع لأحكام القرآن:٧٩/٧.

[4]) تفسير ابن كثير:٢٥٩/٤.

[5]) ينظر:السيرة النبوية لابن هشام:٩/٣.

وكانوا هم في موقف القوّة والتمكّن، لكنّ الله نجّى رسوله بمعجزة منه سبحانه، قال ابن عاشور ــ رحمه الله ــ: "أشارت الآية إلى تردّد قريش في أمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – حين اجتمعوا للتشاور في ذلك بدار الندوة في الأيام الأخيرة قبيل هجرته، فقال أبو البختريّ: إذا أصبح فأثبتوه بالوثائق، وسدّوا عليه باب بيت غير كوّة تلقون إليه منها الطعام، وقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كلّ بطن في قريش فتى جلداً، فيجتمعون، ثمّ يأخذ كلّ واحد منهم سيفاً، ويأتون محمّداً في بيته، فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش بأسرها، فيأخذون العقل ونستريح منه، وقال هشام بن عمرو: الرأي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضرّكم ما صنع"[1]. هذا كان مكرهم به صلّى الله عليه وسلّم، وهو مقيم بينهم، وحتى بعد خروجه حاولوا اللحاق به للتخلّص منه، ورصدوا لذلك جائزة، لكنّهم فشلوا وخابوا.

الآية الخامسة: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ}[يونس:٢١]، رحمة من بعد ضرّاء مسّتهم أي: فرجًا بعد كرب، ورخاء بعد شدّة، وقوّة بعد ضعف. (إذا لهم مكر في آياتنا): أي استهزاء وتكذيب![2] هذا هو حال الإنسان المكذّب، يخضع في حال الشدّة والضعف، ويطغى في حال القوّة والغنى، ولذا يذكّرهم الله في الآية اللاحقة بحالهم وهم في الفلك، وقد اشتدّ بهم الأمر، فلا يجدون ناصراً ولا منجياً إلا الله، فإذا أنجاهم عادوا لشركهم وتكذيبهم ومكرهم. ونسوا أنّ الله (أسرع مكراً)، وأنّ ملائكته تكتب كلّ ما يمكرون.

الآية السادسة: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}[يوسف:٣١]، قيل المراد بمكرهنّ: استفزازهنّ لها لتريهنّ يوسف عليه السلام. وقيل: المراد غيبتهنّ إياها[3]. وعلى كلا القولين فالظاهر من كلامهنّ الاستعلاء على امرأة العزيز، وإظهار الشفقة، حيث ظهرن في موقف القوّة وهي في موقف الضعف، ولذا جاء وصف قولهنّ بالمكر، ممّا اضطر امرأة العزيز إلى أن تدعوهنّ إلى قصرها لتريهنّ يوسف ويعذرنها فيما فعلت. ولمّا تحدّث عن افتتان

---

[1]) التحرير والتنوير:٦/٢٠٥.

[2]) ينظر:جامع البيان:١٥/٤٩.

[3]) ينظر:جامع البيان:١٦/٦٩،والجامع لأحكام القرآن:٩/١٧٧.

امرأة العزيز والنسوة بيوسف عليه السلام، ومحاولتهنّ الوصول إلى مرادهنّ منه ــ وهذه حالة ضعف ــ؛ عبّر عن ذلك بالكيد كما سبق في آيات الكيد.

الآية السابعة: {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ}[يوسف:١٠٢]، هذه في إخوة يوسف عليه السلام، وكانوا عشرة قد اتّفقوا على التخلّص من أخيهم يوسف، وماذا يصنع طفل صغير في مقابل عشرة من الشبيبة الأشدّاء، فهم قد رأوا أنفسهم في موقف قوّة، ولذا وصف تدبيرهم بالمكر. أمّا يعقوب ــ عليه السلام ــ فقد علم ضعف تدبيرهم، في مقابل حفظ الله ليوسف عليه السلام، فعبّر عن تدبيرهم المحتمل بلفظ الكيد كما سبق، فقال: {فيكيدوا لك كيداً}.

الآية الثامنة: {بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[الرعد:٣٣]، هذه في إنكار آلهة المشركين المدّعاة، وذلك أنّهم عظّموا تلك الآلهة، وجعلوا لها هيبة وقوّة وقدرة على النصر والرزق، وهي في الحقيقة لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها ضرّاً ولا نفعاً. ولمّا كان دهاقنة الشرك يعلمون ذلك، ولكنّهم يتكسّبون من ورائه جاهاً ومالاً، ويتقوّون به على الضعفاء والعامّة؛ عبّر عنه بلفظ المكر. ولذا قال بعدها: { وصُدّوا عن السبيل } وفي قراءة بالفتح { وصَدّوا عن السبيل }[1] أي صدّوا أتباعهم عن طريق الحقّ بهذا المكر، وهي مناسبة للسياق، فهم قد صَدّوا غيرهم عن طريق الحقّ، ولفساد مقصدهم وطغيانهم، صدّهم الله قبل ذلك عن سلوك طريق الحقّ. وليسوا هم أوّل من مكر، فقد سبقهم كثير لكنّهم، لم يعتبروا بمن سبقهم، ولذا قال الله في آخر السورة، وهي:

الآية التاسعة: {وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ}[الرعد:٤٢]، ومعنى قوله (فلله المكر جميعاً) أي: "فللّه أسبابُ المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحدًا إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلَه: يقول: فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك، يا محمّد، والله منَجّيك من مكرهم، ومُلْحِقٌ ضُرَّ مكرهم بهم دونك"[2].

---

[1]) ينظر:الحجّة في القراءات السبع لابن خالويه:ص٢٠١.

[2]) جامع البيان:٤٩٩/١٦.

الآية العاشرة: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}[إبراهيم:٤٦]، هذه في الظلمة الجبابرة الذين يكاد ظلمهم ومكرهم أن تزول معه الجبال الرواسي مع رسوخها[١]، وهذا دليل على شدّة مكرهم وقوّته، مع شدّة جبروتهم. قيل نزلت في النمرود، وقيل في بختنصّر[٢]، والعبرة بالعموم. ومثلها:

الآية الحادية عشرة: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}[النحل:٢٦]، فقد قيل إنّها نزلت فيهما أيضاً[٣]. وكذلك:

الآية الثانية عشرة: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}[النحل:٤٥][٤]. وهي عامّة في كلّ طاغوت متجبّر. وقد ختم الله السورة بتطمين نبيّه ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ وهي:

الآية الثالثة عشرة، فقال: {ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضيق ممّا يمكرون * إنّ اللهَ معَ الذين اتّقوا والذين هم محسنون}[النحل:١٢٧][٥].

الآية الرابعة عشرة: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[النمل:٥٠]، هذه الآية في طغاة ثمود قوم صالح، وهم تسعة نفر كما أخبر الله، "كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنّهم عقروا الناقة، وهمّوا بقتل صالح أيضاً...وإنّما غلب هؤلاء على أمر ثمود؛ لأنّهم كانوا كبراء فيهم ورؤساءهم"[٦]. فالتدبير هنا ممّن لهم قوّة وتمكّن، ولذا عبّر عنه بالمكر.

الآية الخامسة عشرة: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سبأ:٣٣]، هذه الآية والتي قبلها

---

[١]) هذا أحد القولين في الآية،والقول الثاني النفي،أي:ما كان مكرهم. ينظر:تفسير ابن كثير:٥١٧/٤.

[٢]) ينظر:المصدر السابق:٥١٧/٤.

[٣]) ينظر:جامع البيان:١٩٢/١٧.

[٤]) ينظر السابق:٢١٢/١٧.

[٥]) ومثلها في سورة النمل بزيادة النون (ولا تكن) آية:٧٠.

[٦]) تفسير ابن كثير:١٩٨/٦،باختصار.

حوار بين الأذّلاء المستضعفين، والأقوياء المستكبرين، كلٌ ينحي باللائمة على الآخر، ولمّا كان التدبير هنا يصدر من الأقوياء المستكبرين؛ عُبِّر عنه بالمكر.

الآية السادسة عشرة: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} [فاطر:١٠]، لمّا كان الحديث عن العزّة، وهي القوّة والغلبة[١]، وكان المشركون يبتغون العزّة من آلهتهم دون الله الذي له العزّة جميعاً؛ وصف فعلهم بالمكر، وأنّ مآل أمرهم إلى البوار والخسران، بعد توعّدهم بالعذاب الشديد. ومن مكرهم ما جاء في السورة نفسها وهي:

الآية السابعة عشرة: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}[فاطر:٤٢، ٤٣]، ومعنى (ومكر السيئ) "أي: مكر العمل السيئ، وهو الكفر وخدع الضعفاء، وصدّهم عن الإيمان ليكثر أتباعهم"[٢].

الآية الثامنة عشرة: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ}[غافر:٤٥]، هذه في مؤمن آل فرعون. قال قتادة ــ رحمه الله ــ: "كان قبطيّاً فنجّاه الله مع بني إسرائيل"[٣]، وهو الذي كان يكتم إيمانه ثم جهر به ونصح قومه، فأرادوا إلحاق الضرر به وقتله، لكنّ الله نجّاه. ولا يخفى حاله وما كان فيه من الاستخفاء والضعف، وتمكّن فرعون ومن معه، وقدرتهم عليه.

الآية التاسعة عشرة وهي الأخيرة: {وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا}[نوح:٢٢]، هذه في الملأ من قوم نوح، كما دلّ على ذلك الآية التي قبلها: {قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا}[نوح:٢١]، وهم أهل الجاه والتدبير والقوّة والتمكّن. ومعنى كبّاراً أي: عظيماً كبيراً[٤] يهدف "لإبطال الدعوة وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس. ومكروا لتزيين الكفر والضلال والجاهلية التي تخبّط فيها القوم. وكان من مكرهم تحريض الناس على الاستمساك بالأصنام التي يسمونها آلهة: {وقالوا لا تذرنّ

---

[١]) ينظر:لسان العرب:٥/٣٧٤،مادّة (عزز).

[٢]) الجامع لأحكام القرآن:١٤/٣٥٨.

[٣]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:١٥/٣١٨.

[٤]) ينظر: تفسير القرآن العظيم:٨/٢٣٤.

آلهتكم}.. بهذه الإضافة: (آلهتكم) لإثارة النخوة الكاذبة، والحميّة الآثمة في قلوبهم. وخصّصوا من هذه الأصنام أكبرها شأناً، فخصّوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامّة المضلّلين الحميّة والاعتزاز..{ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً }.. وهي أكبر آلهتهم التي ظلّت تُعبد في الجاهليات بعدهم إلى عهد الرسالة المحمّديّة. وهكذا تلك القيادات الضالّة المضلّلة تقيم أصناماً، تختلف أسماؤها وأشكالها، وفق النعرة السائدة في كلّ جاهلية، وتجمع حواليها الأتباع، وتهيّج في قلوبهم الحميّة لهذه الأصنام، كي توجههم من هذا الخطام إلى حيث تشاء، وتبقيهم على الضلال الذي يكفل لها الطاعة والانقياد"[1].

وبهذا يظهر سبب تنوّع اللفظين في الدلالة على المراد، حسب ما ظهر لي، والله تعالى أعلى أعلم.

[1]) في ظلال القرآن: ٣٥٠/٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل لكلّ بداية نهاية، وفي نهاية هذا البحث هذه أهمّ النتائج التي توصّلت إليها والتوصيات التي أوصي بها:

أوّلاً: أهمّ النتائج:

١. عظمة كتاب الله تعالى ودقّة ألفاظه ونظمه، وسعة دلالاته ومعانيه.
٢. أهميّة الألفاظ المترادفة، والمتقاربة في المعنى، وعلاقتها بالمعاني والبيان.
٣. لا يوجد في القرآن لفظان مترادفان متطابقان تمام التطابق، فما من لفظ إلا وفيه من المعاني والدلالات ما ليس في غيره، وإن تقاطعا في بعضها.
٤. قد يكون الفارق بين المترادفَيْن أو المترادفات واضحاً، وقد يكون خفيّاً يحتاج إلى بحث ونظر.
٥. من الألفاظ المترادفة في القرآن: لفظا (القرية) و(المدينة)، لا سيما إذا وردا في سياق واحد، وفي قصّة واحدة، للدلالة على شيء واحد.
٦. إذا أطلقت القرية فالمراد بها العموم، فتشمل كلّ تجمّع مأهول بالسكّان قلّوا أو كثروا. وإذا ورد لفظ المدينة فهو للدلالة على أمر خفيّ، أو مؤامرة خفيّة.
٧. ومن الألفاظ المترادفة في القرآن: لفظا (الكيد) و(المكر) فكلاهما يدلّ على تدبير يُقصد به الإضرار بالطرف الآخر، أو إخضاعه.
٨. الكيد لا يصدر إلى من ضعيف أو عاجز للتوصّل إلى غرض من الأغراض. أمّا المكر فهو يصدر من قويّ متمكّن تجاه ضعيف، أو خانع.

ثانياً: أهمّ التوصيات:

١. أوصي الباحثين والمتخصّصين بالعناية بالألفاظ المترادفة في كتاب الله، ــ وهي كثيرة ــ، ودراستها، وبيان الفرق بينها، والحكمة من ورود كلّ لفظ منها في موضعه دون غيره.
٢. كما أوصي الجامعات ومراكز البحوث بالاهتمام بهذا الموضوع، وتشجيع الباحثين على خوض غماره، والإفادة منه.

والله وليّ التوفيق.

قائمة المراجع

١. الأضداد في اللغة لابن الأنباري، المطبعة الحسينية – مصر.
٢. البحر المديد لابن عجيبة، دار الكتب العلمية ــ بيروت. الطبعة الثانية:٢٠٠٢ م/١٤٢٣هـ.
٣. البرهان في علوم القرآن للزركشي دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.
٥. التحرير والتنوير لابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٦. الترادف في القرآن بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين المنجد، دار الفكر ــ دمشق.
٧. تفسير البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة: ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م. حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش.
٨. تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى.
٩. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل،دار الفكر– بيروت/ لبنان،١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.
١٠. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.
١١. التفسير الكبير للرازي، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى:١٤٢١هـ –٢٠٠٠ م.
١٢. التعريفات للجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
١٣. التوقيف على مهمّات التعاريف للمناوي، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
١٤. تيسير الكريم الرحمن للسعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
١٥. جامع البيان للطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ.
١٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.
١٧. الحجّة في القراءات السبع لابن خالويه، دار الشروق– بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم.
١٨. الدر المصون في علم الكتاب المكنون للحلبي، دار المعرفة ــ بيروت.

١٩. الزاهر في معاني كلمات الناس للأنباري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن.
٢٠. السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل – بيروت، ١٤١١هـ.
٢١. صحيح البخاري، دار السلم – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ، بعناية: عبد المالك مجاهد.
٢٢. صحيح مسلم، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤٢٢هـ.
٢٣. فتح القدير للشوكاني، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ.
٢٤. الفروق اللغوية للعسكري، دار العلم والثقافة، تحقيق: محمد إبراهيم سليم.
٢٥. في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق – بيروت.
٢٦. القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار القلم.
٢٧. القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ.
٢٨. العين للفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.
٢٩. الكتاب لسيبويه، دار الجيل ــ بيروت، تحقيق عبد السلام محمد هارون.
٣٠. الكشّاف للزمخشريّ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٣١. اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
٣٢. لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.
٣٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي _ بيروت.
٣٤. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار الفكر – بيروت، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٣٥. المكر والكيد والخداع.. والفرق بينها في التَّعبير القرآنيّ لعدنان الغامدي.
٣٦. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي، مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي.
٣٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعيّ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.